الهويـة واللغة

أ.توهامي سفيان[1]
حوتي سعاد[2]

1-مفهوم الهوية

هي إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم. فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنتيه، وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءا من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها .وتعرف المواطنة على أنها)عضوية كاملة تنشأ من علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات كدفع الضرائب والدفاع عن البلد، وبما تمنحه من حقوق كحق التصويت وحق تولي المناصب العامة في الدولة والمواطنة دونما اشتراطات تغدو سجنا للحرية والإرادة فدولة المواطنين هي دولة الأحرار، لا دولة العبيد والرعايا، وهي دولة الحقوق قبل إن تكون دولة الواجبات، واشتراط الحرية مقدم على اشتراط التكليف شرعا وعقلا .[1]

2-مفهوم هوية الأنا

ويقصد بهوية الأنا تحديد الفرد من يكون؟ وما سيكون؟ بحيث يكون المستقبل المتوقع امتدادا واستمرارا لخبرات الماضي متصلة بما يتوقعه من مستقبل، وينطوي مفهوم الهوية على شعور الفرد بكونه قادرا على العمل كشخص منفرد دون انغلاق العلاقة بالآخر. أي تحقيق تفرده وتقوية دوره الاجتماعي، وإعادة تقويمه لعلاقاته بعالمه وبالآخرين وتوجهه نحو أهداف محددة، إنها صورة ذاتية معقدة تتطور خلال التفاعل الاجتماعي، وينطوي تكوين الهوية على الإحساس باستمرار الكيان الداخلي أو النفس مضافا إلى ذلك التوحد مع شيء خارج هذا الكيان أو النفس وهذا يعني أن الفرد يعيش ليحقق توقعات لنفسه وتوقعات المجتمع، مع سعيه الدائم للمحافظة على استمرار تصوره لهذا الكيان الداخلي أو النفس واعتراف الآخرين بهذا التماثل والاستمرار.

1- أستاذ مساعد –أ- علم النفس
2 -باحثة في علم النفس، جامعة تلمسان
1 - Edmond marc, psychologie de l’identité ; soi et le groupe ; dunod, paris 1992, , p08

ويؤكد أريكسون(1963)أن"حل المراهق لصراع هذه المرحلة(الهوية) ليست في الانفصال الكامل بهذا الماضي ولكن في تكامل هذا الماضي مع حاضر جديد نحو مستقبل معين" وهو في سعيه للبحث عن إحساس بالتماثل بين الماضي والحاضر والمستقبل وقد يعيش معاركه الباكرة مع أشخاص آخرين لم تكن لهم علاقة به لكنهم يمثلون له دور معارضيه كما يصبح أكثر استعدادا لان يعتنق مبادئ ومثل لا تقبل المناقشة مطلقا[1].

3-مصادر الهوية حسب تصنيف هنتكتون:

لدى الناس عدد غير محدد تقريبا من المصادر المحتلة للهوية، وتلك المصادر تتضمن بالدرجة الأولى :

1-السمات الشخصية / وتشمل العمر، السلالة، الجنس، القرابة) قرابة الدم (، الإثنية)القرابة البعيدة (العرق).

2-السمات الثقافية وتشمل:العشيرة، القبلية، الاثنية) معرفة كطريقة للحياة(، اللغة، القومية، الدين، الحضارة).

3-السمات الإقليمية: وتشمل الجوار، القرية، البلدة، المدينة، الإقليم، الولاية، المنطقة، البلد، المنطقة الجغرافية، القارة، نصف الكرة الأرضية.

4-السمات السياسية وتشمل:الانشقاق ضمن الجماعة، الزمرة، القائد، الجماعة ذات مصلحة معينة، الحركة، القضية، الحزب، الأيديولوجية، الدولة.

5-السمات الاقتصادية وتشمل:الوظيفة، الشغل، المهنة، مجموعة العمل، المستثمر، الصناعة، القطاع الاقتصادي، الاتحاد العمالي، الطبقة.

6-السمات الاجتماعية وتشمل:الأصدقاء، النادي، الفريق، الزملاء، مجموعة وقت الفراغ، المكانة الاجتماعية.

يحتمل أن يكون أي فرد مرتبطا "في كثير من هذه المجموعات، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أنها مصادر هويته .فقد يجد الشخص مثلا في عمله أو بلده مقيتا ويرفضه برمته، فضلا عن كون العلاقة بين الهويات ذاتها معقدة، العلامة المميزة عندما تكون الهويات منسجمة في المطلق، لكن أحيانا قد تفرض هوية ما كهوية الأسرة وهوية العمل متطلبات متنازعة على الفرد .أما الهويات ضمنا في الهويات الأضيق، والهوية الأصغر التي هي في إقليم ضمنا على سبيل المثال، قد تضارب مع الهوية الأكبر، التي هي في بلد معينا ضمنا وقد لا تتضارب، فضلا عن ذلك فأن الهويات التي من نوع واحد قد تكون حصريا أو لا تكون .الناس مثلا قد

1 - GERARD PIROLOT ; VIOLENCES ET OUFFRANCES à L'ADOLESCENCE ; L'HARMATTAN, 2001, p12

يؤكدون على ازدواجية القومية ويدعون أنهم ايطاليون أو أمريكيون في آن معا، غير آن من الصعب أن يؤكدوا على ازدواجية الدين، ويزعمون أنهم مسلمون وكاثوليك في الوقت ذاته . وتختلف الهويات في شدتها أيضا وغالبا ما تتنوع الشدة عكسيا في مجالها ويتميز الناس على نحو شديد بعائلتهم أكثر مما يتميزون بحزبهم السياسي، ولكن ليست تلك هي الحال باستمرار فضلا عن تنوع السمات البارزة في الهويات من كل الأنواع بالتفاعلات بين الفرد أو المجموعة وبيئتها[1].

4-تصنيف حالات الهوية

يشير مارشا في دراساته عن هوية الأنا كمحاولة لاختبار صدق افتراضات إريكسون عن النمو النفسي الاجتماعي في المراهقة، أن هناك أربعة رتب أساسية للهوية ذات الطبيعة الديناميكية، وتتحدد وفقا لظهور أو غياب متغيرين أساسيين هما(خبرة الفرد أو عدم خبرة الفرد) من جانب(والتزام الفرد أو عدم التزامه بما يصل إليه من قرارات) سواء كان ذلك من خلال قراراته الحقيقية أو كانت نتاج الصدفة، وعلى هذا الأساس فان الفرد يمكن أن يقع في إحدى الرتب التالية:

إنجاز أو(تحقيق) الهوية

يتم تحقيق الهوية إذا اختبر الأفراد أزمة الهوية في مجال أو أكثر من مجالات حياتهم، وتوصلوا إلى قرار معين والتزموا بذلك القرار وهذا مؤشر لنمو الأنا بطريقة سوية ونتيجة لذلك فان محققي الهوية يتمتعون بدرجات أعلى من التوافق، وتقدير الذات، والإنتاجية، ويعانون من درجات اقل من القلق والاضطرابات النفسية والسلوكية.

تأجيل أو(تعليق)الهوية

يشير تعليق الهوية إلى خبرة الأفراد الآنية اللازمة للهوية دون الوصول لقرارات معينة، وعادة فإن الأفراد الذين يحققون هوياتهم يمرون بهذه الفترة من التعليق المؤقت، إلا أن الوقوع في هذه الرتبة تعني ديمومة مرور الفرد في أزمة الهوية، فهو في رحلة مستمرة للبحث عن هويته وأهدافه، إلا أنه لا يظهر التزاما بها، وعادة ما يستمر في تغيير هذه الأهداف. ومثالا على ذلك استمرارية الفرد في تغيير تخصصه الدراسي بشكل مستمر.وبالرغم من تدني مستوى هذه الرتبة كمؤشر للنضج النفس اجتماعي، فإنها تمثل رتبة متقدمة مقارنة بالرتبتين التاليتين، ذلك وأن الأفراد يظهرون اهتماما

1 - CARMEL CAMILLERI .G.VINSONNEAU ; PSYCHOLOGIE ET CULTURE : CONCEPTS ET METHODES ; COLIN ; PARIS. 1996, p89, 90

بالوصول إلى أهداف ثابتة.ونتيجة لديناميكية الرتب فان احتمالات تحولهم إلى رتبة التحقيق تبقى قائمة مع التوجيه السليم.

انغلاق أو (تعويق) الهوية:

يقع الأفراد في رتبة الانغلاق كنتيجة لعدم خبرتهم اللازمة للهوية، حيث يواجهون بقوى خارجية تختار لهم أهدافهم، ومن ذلك اختيار الآباء لنوع الدراسة أو العمل أو غير ذلك لأبنائهم. إلا أنهم مع ذلك لا يظهرون رفضا بل على العكس فأنهم يظهرون تقبلا ورضا بما يحققون، ولسوء الحظ فان هذه الرتبة عادة ما تنال الرضا والدعم الاجتماعي من قبل الآباء.والحقيقة أن الأفراد فيها يعانون من ضعف في نمو الأنا ودرجة عالية من الاعتمادية والقلق، وقد يظهر ذلك جليا في حالة فقدان مصدر الدعم.

تفكك أو(تشتت) الهوية:

وتمثل أسوأ رتب الهوية حيث يعاني فيها الأفراد من ضعف نمو الأنا بدرجة كبيرة، وأيضا من المشكلات السلوكية والنفسية التابعة لذلك، ونتيجة لهذا الضعف فان الأفراد يصنفون في هذه الرتبة نتيجة لغياب أزمة الهوية التي لا يختبرونها أصلا ولا يظهرون اهتماما بذلك، إلا أنهم يختلفون أيضا عن المنغلقين في أنهم لا يظهرون أي التزام بما تشاء الصدف أن يقوموا به من أدوار، ولذا فقد يتركون هذه الأهداف لأسباب مختلفة، وحتى لو لم يتركوها فإنها لا تمثل لهم أكثر من أدوار فرضت عليهم، وفي الغالب فإنهم يظهرون اضطرابات تختلف في حدتها، وقد تصل ببعضهم إلى العدوان والانحراف والجريمة[1].

5- استراتيجيات الهوية

تعرف الإستراتيجية على أنها مجموعة من الأفعال المتناسقة فيما بينها والعمليات التي تحقق النجاح وذلك بالاعتماد دائما على المستوى التفاعلي والديناميكي.

كما أنها تعرف على أساس الوضعية الضاغطة التي نحن بصدد حلها بطريقة ايجابية وذلك بالولوج إلى المكافأة.

إن الحديث عن استراتيجيات الهوية وبالقياس مع التعريف السابق من اجل توضيح ما يعرف بتحقيقات الهوية، بمعنى ما هي الأغراض التي يسعى من خلالها الأشخاص للمواصلة وذلك برهن استراتيجيات الهوية الحالية ومحاولة قبول والتعرف ثم التقييم من اجل وضع بنية. كما تجدر الإشارة إلى ماهية السلوكات الفردية أو الجماعية،

1 - Edmond marc, psychologie de l'identité ; soi et le goupe ;dunod ; paris 1992, p37,38

الشعورية أو اللاشعورية، المكيفة أو الغير مكيفة من اجل بلوغ هذه التحقيقات ضد منافس الذي يمكن أن يكون الشخص في حد ذاته، أو الأشخاص الذين تربطهم علاقة تفاعلية كالعائلة، الأصحاب، ...، أو النسق الاجتماعي.

تحتاج هذه السيرورة التفاعلية إلى تكييف ثابت من طرف الأشخاص وهذا ما يمكن تسميته بالخطة، حيث في هذا المستوى تمركزت جل الدراسات النفسية والاجتماعية وبينت أن معظم السلوكات الاستجابية منها يمكن أن تكون غير مكيفة ومناقضة تماما للإغراض والأهداف المسطرة (كالانحراف الإقصاء، الارتباك).

من الناحية التكتيكية، فالأشخاص يستجيبون حسب التمثل الذي يملكونه، زيادة على الرهانات والأغراض المرئية ولكن في الأخير يبقى كل شيء مرتبط بحالة النسق الذي يضمهم والذي يضع على عاتقهم نوع من الضغط الثابت ويدفع بهم للاستجابة الآنية [1].

6-تعريف اللغة

من أهم التعاريف الشاملة للغة، ذاك الذي يعرفها على أنها احد أنماط السلوك الذي يتميز باستعمال الرموز اللفظية من أجل التعبير عن كل ما هو فكري، محسوس أو مدرك، باستعمال جهاز التصويت بالنسبة للغة المنطوقة، أو عن طريق القيام ببعض الإشارات واستعمال بعض الأدوات من اجل اللغة المكتوبة. وهذا كله في تناسق مع بيان معجمي وقواعد تركيبية ممثلة من قبل أنظمة لفظية وصوتية[2].

يعرفها "لالاند" بقوله: هي نسق رمزي من الإشارات، يمكن أن يستعمل للتواصل[3].

وقد أكد ديسوسير(F. De Saussure) في النظرية اللغوية على أن الكلام هو مجموعة من الإشارات، وفي كل إشارة نميز عنصرين مهمين: الدال والمدلول.

و يبين بيار ليجندر(Pierre Legendre) في تحليله للقائمة التكوينية للكلام، أن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة إرتباطيه، كما أكد على ضرورة وجود ما يعرف بالوتيرة الثلاثية من اجل اعتماد مصداقية العلاقة بين الدال والمدلول.

---

1 - Carmel camilliri, stratégies identitaires ;puf , 2002, p23

2- د.مصطفى ناصف، ، اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة علم المعرفة، الكويت، 1995، ص47

3- د.جمعة سيد يوسف، ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة علم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، 1990 ص 92 .

المدلول: (le signifié)

يقصد به المفهوم أي التصور العقلي للشيء، على عكس الفكرة المنتشرة فلا يمكن دائما اعتبار اللغة على أنها فهرس من الكلمات التي تعكس الأشياء أو المفاهيم السابقة الوجود بعناوين، فإذا كان هذا هو الحال فكل كلمات اللغة وأصنافها النحوية يكون لها نفس المعنى الدقيق في لغة أخرى. هذه الملاحظة قادت ديسوسير إلى التمييز بين الدلالة والقيمة، حيث هناك بعض الكلمات لها نفس المعنى ولكن ليس لها نفس القيمة اللغوية.

الدال: (le signifiant)

فالدال يعني الصورة الصوتية للكلمة والمهم فيها ليس الصوت في حد ذاته وإنما الاختلافات الصوتمية التي تميزه عن باقي الكلمات، فالقيمة تكمن في الاختلافات.وكل لغة يتشكل لها قاموس خاص بها من خلال عدد محدد من الصواتم.

7-المبادئ الأولية لعلم اللغة: حسب دي سوسير

إن محاولة تلخيص ما جاء به"دي سوسير"في بضعة سطور لأمر جد صعب، وهذا لكونه مؤسس هذا العلم بداية بتحديد موضوعه ومنهجه إلى تحديد فروعه التي تسمح بدراسة اللغة من الناحية البيئية .فأول ما قام به" دي سوسير"هو تحديد موضوع الدراسة، الذي أهمله علماء اللغة من قبله .لذا فهو يفرق بين ثلاث مصطلحات:

Langage: المعنى المطلق للغة أي الأسلوب اللغوي: وهو يقوم على "ميزة نستمدها من الطبيعة" فنحن مؤهلين للاتصال لغويا من الناحية الجسدية(مخ، لسان، فم، سمع، بصر...) ومن الناحية الذهنية.

Langue: المعنى الضيق للغة أو اللسان: وهذا ما يمثل الموضوع الأساسي لعلم اللغة حسب"ديسوسير" ويعرفها بأنها "شيء متفق عليه ومكتسب" وهي تمثل الوجه الاجتماعي للأسلوب اللغوي، أي أن هذا الأخير، عند استعماله في الاتصال اليومي بين الأفراد يأخذ هذا الطابع الاجتماعي.[1]

La parole: الكلام:وهو الجانب الفردي للأسلوب اللغوي "فعل فردي ناتج عن الإرادة والذكاء".

هذا التحديد للأشكال الثلاثة هو تحديد اصطلاحي منهجي، فالعلاقة التي تربط الثلاث هي علاقة احتواء :فاللغة تحتوي الكلام، ويحتويهما الأسلوب اللغوي بدوره، "فدي

1 - flarin Agnès ; le développement du langage ; édition Dunod ; paris1999, p 125,126

سوسير"يوضح أن للغة شكلين، شكل ظاهري (الكتابة)، وآخر باطني لفظي (la parole) هما مرتبطين ارتباطا وطيدا يصعب التفريق بينهما، إذ الأول يمثل الصورة الدالة (signifiant) عن الثاني لأي المدلول (signifiant) والذي يتشكل ذهنيا ولفظيا قبل أن يتحول إلى كلمة مكتوبة ،هذه الكلمة التي تشكل اللغة (langue) هي موضوع علم اللغة [1].

8-الهوية ظاهرة لغوية

يرى سمات سان اللغة ولدت الهوية على النحو التالي، أولا تجرد اللغة عالم التجربة إلى كلمات،والالتقاء باللغة يجعلنا نتعالى عن التجربة الآنية البسيطة والانغماس في تيار التجربة، وهذا ما يمكننا من تشكيل تصور للذات بدلا من أن نكون مجرد ذوات، ويعود هذا الطرح إلى الفيلسوف الفرنسي ايتيان بونوت الذي حدد جذور العقل البشري في التحول من العلامات الطبيعية إلى علامات اللغة الاصطناعية التي تجبر الناس على تحليل التجربة الإنسانية بدلا من اتخاذها كوحدة كاملة ومركبة.

يمكن القول أن الهوية مسالة لغوية في جذورها ولكنها ليست واضحة جدا كما قد يتوقع الكثير خصوصا اللغويين،ويمكن أن تعرف الهوية من خلال الأسماء والدلالات من ناحية ومعانيها المرتبطة بها ومدلولاتها من ناحية أخرى ومن هنا يمكن أن نؤكد أن ظاهرة الهوية في عمومها يمكن أن تفهم باعتبارها ظاهرة لغوية،زيادة على هذا تشير الكثير من البحوث في مجالات مختلفة خصوصا في علم اللغة الاجتماعي وعلم النفس الاجتماعي، إلى الأهمية المركزية للارتباط الحاصل بين اللغة والهوية وان البحث في اتجاهات اللغة قد بين كيفية تشكل تصورات بشكل سريع عن هوية بعضنا البعض بناءا على طريقتنا في الكلام.

وأما البحث في نظرية المواءمة اللغوية فقد اظهر كيف أن الطريقة التي نتحدث من خلالها رهينة جزئيا بالناس الذين نتحدث إليهم وقد بينت العديد من الدراسات التي تهتم باللغة القومية وعلاقتها بالهوية كيف أن العديد من الأفكار نشأت من خلال علاقتها بالهوية القومية واستمرت في لعب دور مهم جدا في حياة الأفراد وذلك بتشكيل تسلسلات هرمية ذات قواعد ترتكز على الطبقة الاجتماعية والتربية التي يحكم الناس على بعضهم البعض من خلالها[1].

1 - F.de Saussure ; cours de linguistique générale ; éd Payot ; paris p123, 1913

1 -جون جوزيف، ترجمة د.عبد النور خرافي، اللغة والهوية، عالم المعرفة، ، الكويت، 2007، ص22